

التبيان في تفسير القرآن

(282) وندمت على ضربك وضربي اياك، وخاف وعيدي وعقابي، وانما قالوا " او لتعودن في ملتنا " وهم لم يكونوا على ملتهم قط لامرين: احدهما - انهم توهموا - ذلك على غير حقيقة - انهم كانوا على ملتهم. الثاني - انهم طنوا بالنشوء انهم كانوا عليها دون الحقيقة. واللام في قوله " ولنخرجنكم " لام القسم والتي في قوله " اولتعودن ايضا مثل ذلك إلا ان فيه معنى الجزاء، لان التقدير لنخرجنكم من ارضنا إلا ان تعودوا أو حتى ان تعودوا، وهو مثل قول القائل: وإني لا أكلمك أو تدعوني. والمعنى إلا أن، أو حتى تدعوني. قوله تعالى: (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد (15) من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد) (16) آيتان بلا خلاف. قوله " واستفتحوا " معناه استنصروا وهو طلب الفتح بالنصر، ومنه قوله " وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا " (1) اي يستنصرون وقال ابن عباس: هو استفتاح الرسل بالنصر على قومهم، وبه قال مجاهد وقتادة. وقال الجبائي: هو سؤالهم ان يحكم الله بينهم وبين اممهم، لان الفتح الحكم، ومنه قولهم: الفتح الحاكم. وقال ابن زيد: هو استفتاح الكفار بالبلاء والخيبة خلاف ما قدره من المنفعة، يقال: خاب يخب خيبة وخب تخبيا، وضده النجاح، وهو ادراك الطلبة. والجبرية طلب علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الوصف، فاذا وصف العبد بأنه جبار كان ذما، واذا وصف الله به كان مدحا، لان له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة. والعنيد: هو المعاند إلا ان فيه مبالغة، والعناد الامتناع من الحق مع العلم به، كبيرا وبغيا، يقال: عند يعند _____ (1) سورة البقرة آية 89